الفَصْلُ السَّادِسُ

إيران والعراق في عهد البويهيين

ظهر البويهيون في بلاد الديلم غرب إيران المكونة من جبال الديلم وبحر الخزر وطبرستان وجيلان وأردبيل، وهم من الجنس الفارسي، ويتكلمون الفارسية، وتصل حدودها إلى خرسان وأذربيجان، ومنذ مطلع القرن الثالث ضعف نفوذ العنصر العربي في تحكمه بهذه المنطقة، وحل محله العنصر الفارسي واستقلال بعض الأمراء عن الدولة العباسية، وقد تميز هذا الإقليم بكثرة الثورات والحركات المارقة والشعوبية على دولة الخلافة العباسية.

والحقيقة منذ عهد الخليفة المعتصم حيث أدخل في جيشه العنصر التركي بعد تراخي العنصر العربي في الجيش، حيث اضطر الخليفة إلى إسكانهم خارج سر من رأى (سامراء) ما شجع العناصر غير العربية في الأطراف البعيدة عن مركز الخلافة على الاستقلال عن الدولة، وفي سنة ١٧٦هـ دخل بلاد الديلم بعض العلويين الهاربين من الكوفة وهم يحملون مذهب الشيعة الزيدية، فقاموا بنشر الإسلام على المذهب الزيدي خاصة في المناطق الجبلية التي لم يبلغها الإسلام حيث بدأ يحيى بن عبدالله العلوي نشاطه في هذه المنطقة، ولكن بعد أن بلغ الخليفة الرشيد خطره قام بالقبض عليه وعلى ابنه الفضل، وسجن ببغداد فترة من الزمن، ثم أطلق سراحه إرضاءً للعلويين، ولكن سجن مرةً أخرى حتى مات في سجنه، ولكن الدعوة الزيدية استمرت في هذه المنطقة، ويبدو أن الدعوة لمذهب الشيعة الزيدية قد انتشرت في خرسان على يد الداعي يحيى بن عمر العلوي الذي انتقل فيما بعد إلى الكوفة، وجمع فيها جيشًا ثار به سنة ٢٥٠هـ ضد

الخلافة العباسية، ولكن جيش العباسيين وبمساعدة من الطاهرين السنة قضى على هذه الثورة، وقتل يحيى بن عمر[١].

وقد هرب الحسن بن زيد العلوي من الجيش الثائر إلى طبرستان من بلاد الديلم، ونشر فيها الدعوة الزيدية، وتجمع حوله الديالمة الذين اعتنقوا الإسلام على المذهب الزيدي بعد أن كان أجدادهم من المجوس في هذه الجبال المنعزلة، ولكن الخليفة المستعين بالله أرسل جيشًا هزم به جيش الحسن بن زيد العلوي على بحر قزوين، ولكن الحسن بن زيد عاد سنة ٢٥٧هـ على الري وطبرستان بعد ضعف ولاة العباسيين وفيها توفي سنة ٢٧٠هـ، فخلفه أخوه محمد الذي دخل في نزاع مع جيوش الأقاليم المناصرة للعباسيين والسامانيين، وأخيرًا قتل في جرجان سنة ٢٧٨هـ، ووقعت طبرستان وما حولها في قبضة السامانيين الذين أحسنوا معاملة الزيدية من الديالمة، ولما ضعفت قبضة السامانيين على طبرستان استولى الحسن بن علي العلوي الملقب بالأطروش على حكم طبرستان، ونجح بذلك بسبب انتشار المذهب الزيدي في هذه منذ زمن، وكان في جيش الأطروش بويه الديلمي على مذهب الزيدية وأجداده من المجوس، وكان له أبناء ثلاثة علي وأحمد والحسن.

وعمومًا اتسم القرن الثالث والرابع الهجري في إيران بظهور ولايات عدة أو أقاليم تابعة شكلًا للخلافة العباسية، ولكنها تتمتع بالكثير من الاستقلال كظهور السامانيين في خراسان والصفاريين والنزاريين (الحشاشين الإسماعيلية) والبريديين في الأحواز والغزنويين في غزنة وبلاد الأفغان حيث وصل سلطانهم إلى بلاد البنجاب في الهند على يد السلطان محمود الغزنوي سنة ٤٢٥هـ، وغيرهم حيث امتزج النفوذ العربي والنفوذ الإيراني والفارسي في هذه المنطقة، وأظهر هذا الامتزاج خدمة تلك الأقاليم والإمارات عمومًا لامتداد الإسلام

(١) د. فاروق عمر: المصدر السابق، ص١٣٢ وما بعدها.

والعرب معًا، حيث ترجمة الكثير من الكتب العربية إلى الفارسية على الرغم من ظهور النزاعات غير العربية التي تمجد الأصول الفارسية والزرادشتية حملتها كثير من الكتب ككتاب الشاه ناما للفردوسي وأشعار حافظ والخيام وغيرهما.

ظهور الدولة البويهية:

في سنة ٣٠٤هـ دخل حسن الأطروش في معركة ضد جيش الري قتل فيها بعد انتصار جيشه، فاستخلف من بعده الحسن بن القاسم العلوي، فدخل بويه وابنه علي في جيش الحسن، فأخضع الحسن الري وقزوين ولأبهر وزنجان وقم إلى سلطانه بمساعدة من بويه، ولكن الحسن بن القاسم قتل في إحدى معاركه سنة ٣١٦هـ، فآلت الأمور إلى مردا ويج الديلمي، وكان معه الابن الأكبر علي بن بويه، وقد اشترك بويه وأولاده في إخضاع طبرستان للمذهب الزيدي العلوي سنة ٣١٦هـ، وانضم الابن علي بن بويه إلى جيش السامانيين في خرسان من سنة (٣٠١-٣٣١هـ) وقد تولى علي بن بابوية ولاية الكرج بأمر من مردا ويج لأول مرة ساعده أخواه الحسن وأحمد. وقد حاول مردويج القضاء على علي بن بويه، ولكن علي زحف على أصفهان، ثم دخل، واحتل أرجان سنة ٣٢١هـ، ثم استولى على النوبندجان ثم شيراز، وكتب للخليفة العباسي الراضي بالله مقرًّا الدخول في طاعته، وأنه سوف يدفع له الخراج فلما أرسل الخليفة رسوله بالخطاب الموافق على ذلك على أن يقبض الرسول مبلغ الخراج الموعود لكن علي بن بويه حبس الرسول عنده حتى توفي، ودانت فارس إلى سلطة علي بن بويه مستغلًّا بذلك ضعف ولاة العباسيين والسامانيين على الأهواز خاصة وعلى الأقاليم الجنوبية الشرقية. وقد ساعده أخواه الحسن وأحمد بقيادة جيوش الديلم، وبسط نفوذهم على إيران. وخضعت الأهواز والبصرة إلى نفوذ أحمد بن بويه بعد إخضاع البريدي، فأصبح لأحمد نفوذ واسع وقيادة قوية على جيش الديلم وذلك بمساعدة من أخيه علي، وساعد أخوه الحسن على الاستيلاء على أصفهان وما جاورها.

البويهيون والدولة العباسية:

كان العنصر التركي في عهد المستكفي بالله ومن قبله من الخلفاء هم شوكة الجيش العباسي، فكانوا يتحكمون ببعض الخلفاء، وقد عمد مؤنس إلى قتل الخليفة المقتدر بالله وفي هذه الفترة ضعفت الأموال التي كانت تجبى للخلافة في بغداد نتيجة استقلال البويهيين والسامانيين والبريديين عن الخلافة ما تسبب في تفكك العنصر التركي وضعفه أيضًا. وفي سنة ٣٢٩هـ نصب الخليفة المتقي بالله كورتكي الديلمي على الجيش، فكان نفوذ الديلم يظهر لأول مرة، وأصبحت هذه الفترة سجالًا بين نفوذ الترك والديلم حيث تشجع البريديون، فاحتلوا بغداد، فهرب الخليفة إلى الحمدانيين في الشام، فأرجع الحمدانيون الخليفة إلى بغداد، وقام الخليفة بتعيين توزون قائدًا على جيشه، ولم يبقَ للخلافة مهابة، وانتقلت الأموال إلى الأمراء من الترك والديلم، ولما سار توزون إلى الموصل لقمع حركة فيها استغل أحمد بن بويه الهجوم على واسط سنة ٣٣٢هـ، وبعدها اتجه أحمد، فاحتل بغداد، فسار إليه توزون لمحاربته، ولكن أحمد انتصر عليه أول مرة، ثم استجمع توزون قوته، فهزم أحمد متجهًا إلى الأهواز سنة ٣٣٢هـ فتجهز أحمد بجيش سار به فيما بعد إلى بغداد، فهرب الخليفة ومن معه خارجها، ولكنه رجع بعد أن تفاهم مع أحمد، فعينه أميرًا للأمراء، وسماه (عضد الدولة) وسمى أخاه عليًّا (عماد الدولة) وأخاه الحسن (ركن الدولة) وانتزع البويهيون صلاحيات الخليفة في الحكم، واستبدوا بالأمر، فلم يبقَ للخليفة إلا اسمه على الصك والدعاء له يوم الجمعة، وكان احتلال عضد الدولة لبغداد والعراق سنة ٣٣٤هـ فكان هو والديلم على مذهب الشيعة الزيدية حيث اشرأبت أعناق زيدية بغداد للحكم، وقالوا لعضد الدولة: إن الحكم بحسب قواعد المذهب هو للداعي الزيدي، ولما علم عضد الدولة بأن الشيعة الإثنا عشرية يعتقدون أن الإمامة هي للإمام الغائب، نادى بالمذهب الإثنا عشري، ونكل بالزيدية، فهربوا، وقام

عضد الدولة بتقريب شيوخ الشيعة الإثنا عشرية وعلى رأسهم الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان الشهير بابن المعلم (ت٤١٣هـ)، وبعد فترة قام عضد الدولة بعزل الخليفة المستكفي بالله، ونصب بدله المطيع لله، وفكر عضد الدولة بنقل الخلافة إلى العلويين، ولكن أشير عليه بخطرهم على الحكم البويهي، وأن من الأفضل إبقاء العباسيين خلفاء من حيث الشكل فقط؛ لأن أغلب الأمة تدين لهم منذ زمن طويل، فانتشر التشيع الإثنا عشري في العراق وإيران، وظهرت مواكب عزاء الحسين في عاشوراء، وكثرت الاشتباكات بين السنة والشيعة خاصة في الكرخ، وسادت ظاهرة شتم الصحابة وعائشة ومعاوية، واحتفل البويهيون بمناسبات الشيعة كغدير وخم وغيرها، وتشجع علماء الشيعة الإثنا عشرية على الكتابة عن مذهبهم، فقام محمد بن الحسن الطوسي بشرح كتاب أستاذه الشيخ المفيد المسمى المقنعة، وسمى شرحه كتاب التهذيب وألف كتاب المبسوط، أما الشيخ المفيد فصرح علانية بكتبه خاصة (أوائل المقالات) وكتاب (الأمالي) وكتاب (الاختصاص) سطر فيها خلافات الشيعة الإثنا عشرية مع السنة في نكاح المتعة وتحريف القرآن وصفات الائمة الاثني عشر وغيرها، فقد كان عضد الدولة يركب ببغداد، فيزور الشيخ المفيد بداره، ووجد شيعة إيران الإثنا عشرية في عهد البويهيين حرية كبيرة، فكتب محمد بن يعقوب الكليني كتابه المعروف بـ (الكافي) وكتب ابن بابوية القمي كتابه (من لا يحضره الفقيه) وكتابه (علل الشرائع) وغيرهم من شيوخ الشيعة الإثنا عشرية الذين وجدو أنفسهم أحرارًا في الكتابة وجمع مأثورات المذهب وتبويبها بشكل يشابه ما عليه الحال عند السنة، فانتشر مذهب الشيعة الإثنا عشرية في كل من إيران والعراق خاصة في هذا العهد[1].

(١) أ. د. إبراهيم سليمان الكروي: البويهيون والخلافة العباسية، ص٤٥ وما بعدها- مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٨م.

وقد شجع ضعف الخلافة العباسية وضعف السنة عمومًا على انتشار التشيع في العالم الإسلامي ما دفع الفاطميين بمصر وهم على مذهب الشيعة الإسماعيلية إلى إرسال دعاتهم إلى العراق وإيران، فظهر بإيران سنة ٤٣٥هـ الداعي الإسماعيلي هبة الله الشيرازي الذي تقرب من البويهيين قاصدًا نشر المذهب الذي انتشر فيما بعد على يد الحشاشين في قلعة الموت، وقد دفع عضد الدولة الخليفة لاستصدار بيان من العلماء يطعن فيه بنسب الفاطميين رغبة منه في إبعاد نفوذهم عن العراق، واستقر الحكم للبويهيين في إيران والعراق على الرغم من محاولة خصومهم الإيقاع بين الإخوة[١].

ولكن بعد وفاة عضد الدولة ببغداد استقل الأمراء البويهيون بشؤون إيران، وذلك من قبل بهاء الدولة وفخر الدولة ما أضعف البويهيين، ومهد لحكم السلاجقة، فسقطوا سنة (٤٢٢هـ)[٢].

تفسير مناحة العزاء على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ذهب كثير من الكتاب والمؤرخين مذاهب شتى في تفسير شيوع البكاء على مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكون البويهيين قد اتهموا بأنهم من أوائل من أدخل مراسم البكاء في عاشوراء على الحسين في بغداد وكربلاء التي تضم قبر الإمام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الموجود ضريحه بها الذي يُعدّ محجًّا للشيعة كما تحتوي على كثير من الأضرحة مثل ضريح أخي الحسين غير الشقيق العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ضريح صاحب الحسين في المعركة الحر بن يزيد الرياحي وعون بن عبدالله بن جعفر بكربلاء (قد سبق أن الخليفة المتوكل قد حرث القبر لإخفاء معالمه وطرد من وُجِد حوله) نلخص أدناه مذاهب الدارسين لهذه الظاهرة كما يلي:

---

(١) أ. د. إبراهيم سليمان الكروي: المصدر السابق، ص١٢٨.

(٢) الدكتور: فاروق عمر المصدر: ص١٤٣ وما بعدها، ص١٤٨-١٤٩.

١- يذهب أكثر المؤرخين العرب كابن كثير في تاريخه وابن مسكويه في (تاريخ الملوك) وابن الجوزي في كتابه (المنتظم) وغيرهم، يقولون: إن الإيرانيين البويهيين هم أول من أدخل مواكب العزاء الحسينية في عاشوراء، فكان الشيعة وخاصة في الكرخ يخرجون بهذه المواكب، فيطوفون بشوارع بغداد مظهرين قوتهم أمام السنة ما تسبب في صدام مستمر بين الطرفين، والسؤال هنا: هل هذه العادة إيرانية جلبها البويهيون معهم، فأدخلوها في العراق أم أنها كانت كامنةً فاستنهضوها لخدمة أغراضهم السياسية؟ وسنؤجل إجابتنا بعد الانتهاء من استعراض بقية الآراء[1].

٢- إن مراسم العزاء الحسينية يرجع أصلها إلى عادة البكاء على تموز إله بابل في العهد الأشوري، فبعد مأساة قتل الحسين أسرع الناس في المنطقة نفسها إلى ما كان يفعله الأجداد منذ القديم، وهذا الرأي قال به الدكتور كامل الشيبي في كتابه (العلاقة بين التشيع والتصوف).

٣- يرى الدكتور فاضل الربيعي في كتابه (المناحة العظيمة) أن طقوس هذا العزاء ليس لها علاقة بالفرس، وينفي أن يكون الفرس قبل الإسلام قد اعتادوا هذه الفكرة، وإنما في رأيه ترجع إلى جذور تاريخية منها القديم كالبكاء على الإله تموز عند الآشوريين، والبكاء على هدم أورشليم والهيكل عند اليهود، ومنها في الأصل ما يرجع إلى العلاقة التاريخية بين السنة والشيعة، حيث أشار إلى جذور الخلافة بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثم بين يزيد والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم في موقف عبدالله بن زياد والمغيرة بن شعبة وما جرى في الكوفة على مسلم بن عقيل ثم في واقعة قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أرض كربلاء، وهذا في الحقيقة رأي أكثر الشيعة الذين يرون أن عزاء الحسين هو تجسيد

(١) د. عبدالهادي التازي: إيران بين الأمس واليوم قراءة جديدة (لرحلة ابن بطوطة) المعهد الجامعي للبحث العلمي -المغرب- الدار البيضاء- ١٩٨٤م، ص٤١ وص٩٦.

لما أصاب الشيعة في تاريخهم الطويل في العهد الأموي والعباسي خاصة، وما لحقهم من نكبات[١] وقد استعرض ما كان عليه العرب قبل الإسلام من عادة البكاء والنياحة على الميت، وأورد الشواهد الكثيرة في الحيرة والعراق ومكة وتيماء واليمن، وظن أن تلك الشواهد تدل على أن أصل عزاء الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما يرجع إلى تلك العادة العربية القديمة إضافة إلى ما ورثته المنطقة من تقليد نياحة عشتار على تموز عند البابليين، والحقيقة أن عموم العرب وقبائلهم خاصة الشمالية ليس لها هذا الميراث من العزاء كما هو مطبق عند الشيعة، والحقيقة أن الشيعة العرب منذ القديم قد تأثروا بالعادات اليهودية والفارسية والنصرانية خاصة الحواضر، وأما البادية من القبائل العربية وهم الأكثرية في جزيرة العرب فلا تعرف ولم تمارس هذا الطقس من العزاء، وقد كفانا الكاتب الربيعي مشقة التدليل على ما نقول حيث أورد الشواهد التاريخية القديمة، وكلها تدل بوضوح على أن بعض العرب قد أخذوا، وتأثروا بعادة العزاء من ميراث عناصر أجنبية أخصها يهودية ونصرانية ومجوسية، وقد اعترف الكاتب نفسه بأن الفرس قبل الإسلام قد تأثروا بعادة البكاء على تموز في بابل (انظر: صفحة ٨٨ من كتابه المذكور) والحقيقة أن كثيرًا من المسلمين العرب الذين كانوا على تماسّ بتلك الديانات في كل من يثرب وتيماء واليمن والحيرة، وعموم العراق كانوا عرضة لانتقال عادة النياحة والعزاء وهؤلاء لم يرثوا فقط هذه العادة وحدها بل ورثوا تلك الأفكار السبئية من فكرة العزاء والتقية والبداء وتعظيم أئمتهم بشكل يخرجهم عن آدميتهم إلى أن يكونوا في مصاف أعلى من الأنبياء وما إلى ذلك من عقائد الشيعة السبئية المعروفة عند الباحثين، والحقيقة أن الإيرانيين والعرب المتأثرين بتلك الديانات القديمة هم الذين قاموا بتضخيم العزاء على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدفوعين بعوامل عقائدية وسياسية حيث إن

(١) فاضل الربيعي: المناحة العظيمة، ص٧ وما بعدها -جداول للنشر والتوزيع- لبنان، ٢٠١١م.

الإيرانيين قد ادعوا أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد تزوج من ابنة الملك الساساني فجرى نور الإله أهورا مازدا في أصلاب أئمتهم وإلا فلماذا اختصت صورة العزاء بالحسين، ولم تكن لأبيه الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي اغتيل في مسجد الكوفة أليس الأب أولى بذلك، وقد تناولت هذا الموضوع باستفاضة والتدليل عليه بشكل علمي في كتابي (أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة) وكتابي الآخر (أثر العناصر الأجنبية على بعض الشيعة الإمامية)[1].

٤- وقد أشار الرحالة ابن بطوطة في رحلاته إلى إيران إلى عادة شيعة إيران اللطم وضربهم على صدورهم بمناسبة عاشوراء، وأورد هذا الرحالة كيف كان وهو في شيراز سنة ٧٢٧هـ حيث ورد على أميرها وفد من بغداد من قبل السلطان المغولي يأمر الأقاليم باعتناق مذهب الشيعة الإثنا عشرية. ويذكر ابن بطوطة في رحلته الرابعة إلى إيران الصدام الدامي بين أمير مدينة بيهق حيث كانوا على مذهب الشيعة الإثنا عشرية وأمير مدينة هرات الذين كانوا على مذهب السنة، وكانت الهزيمة قد دارت على شيعة بيهق.

(١) د. صابر طعيمة: الأصول العقدية للإمام إمامية، ص١٦-٢٨ وما بعدها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤م.